هوالعليم

صراع العقل والإحساس بعد وفاة النبيّ صلّى الله عليه وآله

ولادة السيّدة الزهراء – عام ١٤١١ هـ ق

محاضرة القاها

سماحة آية الله السيّد محمّد محسن الحسيني الطهراني

قدّس سرّه

@MadrastAlwahy

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين

و الصلاة والسلام على سيّدنا و نبيّنا و حبيب قلوبنا و طبيب نفوسنا

أبي القاسم المصطفى محمّد

و على أهل بيته الطاهرين المعصومين

و اللعنة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

العلم والظنّ

قال الله الحكيم فى كتابه الكريم: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾[1]

١ سورة البقرة (٢) الآية ١٢٠.

اليوم هو ذكرى ولادة الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء سلام الله عليها. ولكي يجعل الله هديّة عيدنا في هذا اليوم رفع البلاء عن شيعة هذه السيّدة صلّوا على محمّد وآل محمّد.

تفيد هذه الآية الكريمة التي يخاطب الله فيها النبيّ الأكرم أنّه لن ترضى اليهود والنصارى عنك أبدًا حتّى تتّبعهم وتتّبع دينهم وملّتهم، فقل يا أيّها النبيّ إنّ هداية الله وإرشاده الذي يرشد به عباده هو الهدى، والهداية مختصّة بهذا الطريق، وبعد أن علّمناك وبيّنا لك الطريق، فلو اتّبعت غير علمك لن يكون لك من الله تعالى نصير ووليّ.

نلاحظ في جميع القرآن المجيد وروايات الأئمّة المعصومين سلام الله عليهم أنّه جعل مسير الحقّ والواقع في متابعة العلم دائمًا، وأنّه يحذّر الإنسان من اتّباع الظنّ والأحاسيس والهوى والهوس.

نظرة إلى مراتب العقل وأنواع العلم

عندما يولد الإنسان في هذه الدنيا ويطأ عرصات الوجود فإنّه يمتلك كما يقولون عقلاً هيولانيًّا، أي له

القابليّة للمدركات ولإدراك المعارف، فالطفل عندما يولد لا يدرك أكثر من دائرة ما يقتضيه وجوده الخاص، فإذا كبر تبدّل عقله الهيولاني هذا إلى عقل بالفعل، فبواسطة الآلات والحواسّ التي أودعها اللَه في وجود الإنسان تدّخر في ذهنه معارف، وبواسطة ادّخار هذه المعارف الجزئيّة التي تنتقل إلى الذهن عن طريق الحواسّ، يمكن للإنسان أن يدرك كليّات هي نتائج مدركات الإنسان الجزئيّة. وأغلب الناس يبقون حتّى نهاية أعمارهم في مرحلة العقل بالفعل هذه ولا يتجاوزونها.

وبعبارة أخرى فإنّهم يجعلون نتائج أفكارهم ومعاييرهم على أساس المعطيات الحسيّة، ولا يوفّقون إلى العثور على الطريق الصحيح والواقعيّ، ولا يصلون إلى العلم وذلك لحرمانهم من إدراك الكليّات.

وكما يقول صدر المتألّهين فإنّ قلّة هم الذين وصلوا في نهاية عمرهم إلى مرحلة العقل المستفاد الذي هو

الاتّصال بالتجرّد التامّ وانقطعوا تمامًا عن الحواسّ والأحاسيس، وأغلب الناس يعيشون في الأحاسيس.[1]

فمثلاً لو كان هناك رجل يبكي فإنّك تجلس مقابلة وتتأثّر بحزنه وبكائه دون أن تعلم السبب في بكائه وحزنه، فهذه هي الأحاسيس. أو تكون هناك جماعة تسير في اتجّاه معيّن فتسير خلفها. إلى أين يسيرون؟ لا تدري. ما هي غايتهم؟ لا علم لك. بمجرّد أنّ هناك جماعة تسير في اتّجاه ما فإنّنا نسير معهم أيضًا. هذه هي الأحاسيس. حتّى إنّ الناس في تديّنهم خاضعون للأحاسيس، أي يستفيدون من الأحاسيس لإدراك معارفهم.

هناك حديث مشهور يقول لو أنّ النبيّ الأكرم وكذلك الأنبياء السابقون كانوا يجدون أناسًا يدركون الحقّ بواسطة كلمات هؤلاء الأنبياء العظام لما احتاجوا إلى معجزة. والسبب في إظهار الأنبياء لمعجزاتهم وخوارق العادات هو ارتباط الناس بالأحاسيس.

---

١ راجع: المبدأ و المعاد، الملاّ صدرا، ص ٤٣٧ و ٤٣٨.

يرون أمراً خارقًا للعادة فيميلون، وجميع الأعمال والبرامج التي يقوم بها الناس ترتكز على الأحاسيس! أمّا أن نقوم بعمل على أساس العقل والتأمّل والعلم فهذا قليلاً ما يحصل. فبواسطة كلمتين وأمرين ومدح من إنسان فإنّ الإنسان يغيّر مساره وتتغيّر أحواله.

قصص شواهد من الواقع والتاريخ على غلبة الأحاسيس

قراءة زيارة على باب أحد العلماء

عندما كنت أدرس في قم في عهد ما قبل الثورة، خرجت صباح أحد الأيّام من المنزل إلى الدرس، فرأيت على باب أحد العلماء عددًا من الناس واقفين ويظهرون التعظيم ويقرأون شيئًا، فتعجّبت وتقدّمت، فرأيت أنّ باب المنزل مفتوح فليدخلوا! لماذا لا يدخلون؟! تقدّمت أكثر فرأيت أنّ هؤلاء المساكين قد جاؤوا من إحدى المناطق وهم يقرأون زيارة أمام باب المنزل، ويظهرون التعظيم ولا يدخلون إلى المنزل! فجلست هناك، نظرت لأرى إلى أين سينتهي بهم الأمر، فرأيت أنّهم بقوا ما يقارب ثلث الساعة إلى نصف الساعة على هذه الحالة،

حتّى أذن لهم بالدخول على ما يبدو ودخلوا. فهذا ما يسمّى بالأحاسيس.

إنّ مدح إنسان غير لائق بين الناس ماذا يؤثّر حتّى يصل هؤلاء إلى هذه الحالة بحيث يرسمون له في أذهانهم صورة إنسان مقدّس وإنسان كامل، ويقفون أمام باب منزله ويقرأون الزيارة، فهذه هي الأحاسيس.

التمييز بين الإمام الرضا وأئمّة البقيع عليهم السلام في التعظيم

ومثلاً نحن لدينا اثنا عشر إمامًا، واحد منهم هو عليّ بن موسى الرضا الذي نحن موفّقون بلثم أعتابه في مدينة مشهد. فانظروا إلى وضع وموقع عليّ بن موسى الرضا كيف هو! ولدينا في المدينة في البقيع أربعة أئمّة: الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، الإمام زين العابدين عليه السلام، عليّ بن الحسين والإمام الباقر والإمام الصادق عليهم السلام. فإن كان للإمام عليّ بن موسى الرضا هنا مقام الإمامة، فنحن لدينا هناك أربعة أئمّة وهم آباؤه.

ولكن قارنوا بين حال زوّار الأئمّة في البقيع وحال زوّار عليّ بن موسى الرضا، فماذا تجدون؟ عندما يدخلون

الباب ينظرون إلى تلك القبّة وذلك الرواق وذاك الحرم وذلك الجلال والأبّهة والجمال للإمام، فشاؤوا أم أبوا يصبحون خاضعين خاشعين فيقبّلون أوّلاً الباب ثمّ يدخلون ويقرأون إذن الدخول «بسم اللَه و باللَه و فی سبیل اللَه و علی ملة رسول اللَه...» حتّى نهايته، ثمّ يسيرون بهدوء ويدخلون، فإذا وصلوا إلى الباب المطهّر فإنّهم يقفون من جديد ويقرأون إذن دخول آخر بحيث يدخلون إلى الحرم المطهّر بحالة من الخضوع والخشوع.

أمّا في المدينة المنوّرة وفي مقبرة البقيع فقد رأيت بنفسي هؤلاء الزوّار الإيرانيّين وشيعة أهل البيت يأتون بأحذيتهم إلى جانب القبور المطهّرة للأئمّة! لماذا؟! لأنّ القبور المطهّرة للأئمّة في مقبرة البقيع لا قبّة لها ولا ضريح!

إن كان لا بدّ من الإجلال والتعظيم فهؤلاء مقدّمون، لدينا هنا أربعة أئمّة.

فهذه هي الأحاسيس. وغلبة الأحاسيس على العقل راسخة حتّى في دين الناس أيضًا.

أنا الآن أتكلّم معكم، ووضعي هو هكذا: ألبس عمامة على رأسي، وألبس جبّة وعباءة وأتكلّم معكم من على المنبر، وأنتم أيضًا تصغون تتفضّلون بالاستماع، وتستمعون ـ بنسبة ما قلّت أو كثرت ـ كلامي بحقّه وباطله، وتغضّون النظر عمّا فيه. أمّا لو نزلت عن المنبر ونزعت العمامة عن رأسي وجلست جانبًا مثلكم وتركت هذا اللباس ولبست قميصًا وبنطالاً وتكلّمت، فإنّ نظرتكم إليّ وبصيرتكم نحوي ستتغيّر. لماذا؟! فإن كنت أعرف شيئًا فلا فرق بين الحالتين! وإن كنت لا أعرف شيئًا فلا أزداد شيئًا بواسطة الجبّة والعمامة! هذا كلّه بواسطة غلبة الأحاسيس على العقل.

فتن ما بعد وفاة النبيّ صلّى الله عليه وآله

لقد أقصي أمير المؤمنين عليه السلام عن الحكومة بواسطة غلبة الأحاسيس هذه على العقل. وفي مرحلة ما بعد النبيّ الأكرم سلَب القوم الحكومة والولاية من أمير المؤمنين بواسطة ذلك، وقد استشهدت فاطمة الزهراء

سلام اللَه عليها بواسطة سيطرة الأحاسيس على العقل. لقد كانت حقيقة المسألة هي أنّها عليها السلام وقفت أمام الناس وقالت عليكم أن تنحّوا ذلك وتعملوا بما قاله النبيّ الأكرم، فهذا كامل هدف السيّدة الزهراء سلام اللَه عليها، والعجيب هو أنّ هؤلاء أنفسهم كانوا يعلمون ذلك جيّدًا، وكانوا يسيئون الاستفادة كثيرًا من ذلك، فعندما ينظر الناس فيرى ذوي اللحى البيضاء كأبي بكر والمغيرة وأبي عبيدة الجرّاح الذين كانوا وجهاء القوم في زمان النبيّ ـ فنحن الآن بعد مضيّ كلّ هذه المدّة نحاكمهم هكذا ـ فأبو بكر صاحب لحية بيضاء، أب زوجة النبيّ، وأبو عبيدة من مشاهير القوم المعروفين، فقد كان بين أهل الباطل وجماعته أفراد موضع اهتمام الناس وبسببهم أغوي الناس.

عمر يأكل أمام الناس خبز الشعير والخلّ[1] ويضرب ابنه[2] ويقول على المنبر جميع الناس أعلم من عمر حتّى

---

١ راجع: تاريخ المدينة، ج ٢، ص ٦٩٤ - ٧٠٥.

٢ تاريخ الخلفاء، ص ١٥٨.

النساء في حجالها[1]، ولكنّه في الباطن يقول لأمير المؤمنين: زوّجني ابنتك، وعندما رفض الإمام قال له: إن لم تزوّجنيها أقمت عليك شهودًا بأنّك سارق وأقمت عليك الحدّ.

إغواء الناس بمظاهر وكلمات جذّابة ومتواضعة

إنّ ما يؤدّي إلى الظهور أمام الناس بمظهر جميل هو التظاهر بالمظلوميّة والعجز وبالتساوي مع الناس والكون مثلهم. فعندما يقول عمر على المنبر: إنّ جميع الناس أعلم من عمر، لو قال له واحد من الناس: ما داموا أعلم منك فلماذا لا تنزل عن المنبر؟! ما دام الجميع أعلم منك فماذا تصنع هنا؟! وعندما يقول أبو بكر من على المنبر: أقيلوني فلست بخيركم.[2] ونبّهوني إذا رأيتم منّي انحرافًا فلا أحد يأتي ويقول لأبي بكر: إن كنت مثلنا فلماذا غصبت هذا المقام؟!

---

١ شرح نهج البلاغة، ابن أبي‌الحديد، ج ١، ص ١٨٢.

٢ النوادر، الأشعرى، ص ١٢٩ و ١٣٠؛ الكافي، ج ٥، ص ٣٤٦.

ولمزيد من الاطّلاع حول هذا الموضوع راجع معرفة الإمام ، ج ١٥، ص ٢٥٩ - ٢٦٤.

هؤلاء ينفذون إلى قلوب الناس بهذه الكلمات الشيطانيّة، فيقول الناس: عجبًا كم هم منصفون هؤلاء! لا ادّعاء لديهم، يرون أنفسهم مثلنا، هكذا هي حالهم، وهكذا هو كلامهم! فهؤلاء يغوون الناس بذلك، والناس لا يفكّرون في كونه حقًّا أم باطلاً.

كان هناك رجل واحد أحرج عمر أمام الناس، إنّه أويس القرني، فعندما جاء إلى المدينة ـ وله قصّة مفصّلة ـ عندما تكلّم معه عمر قال: من يشتري منّي هذه الخلافة بقرصين. فأجابه أويس على الفور وقال: إن كنت أهلاً للخلافة فلا حقّ لك بتركها ـ فالخلافة زعامة الناس، وتعني قيادتهم وهدايتهم ـ وإن لم تكن لها أهلاً فدعها ليأخذها من أهل لها.

فالناس الذين كانوا آنذاك كانوا تابعين للأحاسيس، لم تكن عقولهم حاكمة على أحاسيسهم، ولذلك وبفتنة صغيرة وبمجرّد أن رأوا أنّ النبيّ قد توفّي وأنّ جماعة من الناس يمضون نحو السقيفة توجّهوا أيضًا نحوها وقالوا: إلى أين تذهبون؟ قالوا: إلى السقيفة؟

ـ ماذا في السقيفة؟ فقد كنتم في عيد الغدير وشهدتهم واقعة الغدير؟ فقد شارك على الأقلّ ثلاثون ألفًا مع النبيّ في تلك المراسم، فما معنى السير خلف الناس وإيجاد الفتنة والغوغاء؟! هذا هو معنى غلبة الأحاسيس على العقل، يمشون مع الجماعة ويجتمعون هناك وبالمكر والاحتيال وعندما تصبح الحكومة بيد أبي بكر فإنّهم يأتون ويبايعون ويسقطون في هذه المرحلة!

والعجيب هنا أنّه عندما ننظر إلى كتب علماء أهل السنّة نجد أنّ بعضهم أو أغلبهم من المتبحّرين والعلماء وأيّ خيانة خانوا أعظم من هذه حين سبّبوا إغواء الناس وأهل السنّة بواسطة الكلام الباطل الذي نقلوه.

فابن أبي الحديد الذي يحبّ أمير المؤمنين كثيرًا ويواليه وواقعًا يبدي أمامه الخشوع والمحبّة، قد جعل جزءًا من كتابه شرح نهج البلاغة في مكارم عمر وهو الجزء الثاني عشر، ثمّ وماذا يبيّن فيه! فيا ابن أبي الحديد أنت بفهمك هذا وعلمك كنت في تلك الظروف التي لم تكن ظروف تقيّة فما معنى كتابة هذا الكتاب؟! فالأمور التي

ينقلها عنها كلّما وصل إلى شيء لم يتمكّن من التخلّص، وفي الوقت نفسه يحبّ أهل البيت عليهم السلام أيضًا، ويحبّ أمير المؤمنين عليه السلام، والشعر الذي قاله فيه مفصّل جدًّا وشيّق وهؤلاء يعرفون أمير المؤمنين جيّدًا.

تبعيّة أمير المؤمنين والسيّدة الزهراء عليهما السلام للحقّ والعقل دون الأحاسيس

سكوت أمير المؤمنين عليه السلام إلا في موارد معدودة

يعلمون أنّ أمير المؤمنين هو أمير المؤمنين وهو عليّ بن أبي طالب الذي هو على الصراط المستقيم وعلى صراط الحقّ، والذي لو سلبوا منه كلّ الحقوق فإنّه لن يميل إلى أمثال هذه الأمور. وليس هناك سوى موردان أو ثلاث وقف أمير المؤمنين عليه السلام مقابلهم وذلك لأجل الآخرين لا لأجل نفسه.

قلت إنّ الأمر يصل إلى درجة أنّ عمر مع ما هو عليه من الخصوصيّات ومع تلك العداوة التي يكنّها لأهل البيت عليهم السلام عندما يخطب ابنة أمير المؤمنين فإنّ

أمير المؤمنين لا يتمكّن من ردّه. وقد أنكر البعض هذه الحادثة وقالوا: إنّ هذه الفتاة قد توفّيت قبل زواج عمر منها. وقال آخرون إنّه لا صحّة للأمر من الأساس. ولكن الأمر ليس هكذا. فقد جاء عمر وتزوّج من تلك الفتاة، أي إنّ مظلوميّة أمير المؤمنين قد بلغت درجة جعلته يتنازل لأبغض الناس ويسلّم له لأجل المصلحة التي أوصاه بها النبيّ الأكرم. وهذا الأمر ليس بالسهل.

الموارد المعدودة التي واجه فيها أمير المؤمنين نظام الخلافة

فالمورد الأوّل في قصّة العبّاس عمّ النبيّ والثاني قصّة نبش قبر السيّدة الزهراء سلام الله عليها، ومورد أو موردان آخران.

قصّة ميزاب العبّاس عمّ النبيّ إلى المسجد

أمّا قصّة العبّاس فمعروفة، فعندما نزلت الآية أن سدّ جميع الأبواب إلى مسجد النبيّ ومسجد المدينة إلا باب أمير المؤمنين عليه السلام. أمر النبيّ بسدّ الأبواب كلّها، فقد كان مسجد المدينة واقعًا في مكان تحيط به منازل الأصحاب، منزل أبي بكر، ومنزل عمر، ومنازل آخرين،

وكان هؤلاء قد فتحوا تبرّكًا بابًا من بيوتهم على باحة المسجد، فجاءت الآية أن أغلق جميع الأبواب، فأمر رسول اللَه بسدّها كلّها، فعمل العبّاس عمّ النبيّ بهذا الأمر وأطاع، ولكنّه طلب أن يا رسول اللَه اسمح لي تيمّنًا وتبرّكًا أن يبقى ميزاب داري على المسجد، ممّا يجعل لي شرفًا وبركة ومقامًا وموقعًا، وأنّه في النهاية لي حقّ في هذا المسجد وقد حفظ حقّي.

فقبل النبيّ الأكرم وأعلن للنّاس أنّ اللَه تعالى قد لاحظ هذا الأمر لعمّي العبّاس، وكان الجميع يعرفون ذلك في المدينة.

إلى أن جاء زمان عمر بن الخطّاب، وبينما كان عمر جالسًا في صحن المسجد، كانت جارية للعبّاس تغسل على سطح الدار، فسقط ماء الغُسالة من هذا الميزاب على رأس عمر وثيابه فاتّسخت، فأمر بقلع الميزاب.

وكان العبّاس مريضًا، فجاء على مرضه وضعفه إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال: يا عليّ لقد كان لي ركنان

وجناحان أتّكئ عليهما، كان أحدهما النبيّ وقد مات، والآخر أنت. وقلع الميزاب يعدّ هتكًا لحرمتي.

فقام أمير المؤمنين وحمل ذا الفقار على ظهره وجاء إلى مسجد النبيّ وأمر أن يعاد الميزاب إلى مكانه وأقسم أنّه إذا ما نزعه أحد فسينزع رأسه. فلمّا سمع عمر بذلك رأى أنّ الأمر جادّ وليس كسائر الموارد فأمير المؤمنين يفعل ما يشاء.[1]

قصّة محاولة نبش قبر الزهراء

والمورد الآخر قصّة نبش قبر السيّدة الزهراء سلام الله عليها، فعندما استشهدت، أحدث أمير المؤمنين بناء على بعض الروايات سبعة تماثيل للقبور في البقيع وفي رواية أخرى أربعين تمثالاً.

وعند الصباح جاء زعماء القوم فرأوا في مقبرة البقيع تماثيل القبور، فأرادوا بسبب تلك النزاعات التي كانت أن

---

١ بحار الأنوار، ج ٣٠، ص ٣٦٢ -٣٦٥؛ «... قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَ حَقِّ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ وَ الْمِنْبَرِ لَئِنْ قَلَعَهُ قَالِعٌ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ وَ عُنُقَ الْآمِرِ لَهُ بِذَلِكَ، وَ لَأَصْلِبَنَّهُمَا فِي الشَّمْسِ حَتَّى يَتَقَدَّدَا... .»

ينبشوا القبر ويستخرجوا بدن السيّدة فاطمة ويصلّوا عليه لينالوا بذلك وجاهة.

وفي الرواية أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لبس قميصه الأصفر الذي كان يلبسه دائمًا في المعارك وحمل سيفه وأتى إلى مقبرة البقيع وقال: لن أسمح بنبش هذه القبور. فجاء عمر وأقسم بأنّه سينبش هذه القبور ويستخرج بدن فاطمة الزهراء ويصلّي عليه. فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام بتلابيت عمر ورفعه ورمى به على الأرض، فجاء أبو بكر وشفع له أن يا عليّ نحن لا نريد أن نفعل ما تكره، ثمّ تنحّوا جانبًا متأثّرين.[1]

فقد كانت هذه المواقف في مورد أو موردين آخرين، وأمّا في غيرها فإنّ أمير المؤمنين لم يكن يعترض مهما أنزلوا به من البلاء.

حتّى إنّ معاوية يكتب إلى أمير المؤمنين ذامًّا في قضيّة الخلافة والبيعة لأبي بكر:

---

١ مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ج٣، ص ٣٦٣؛ عيون المعجزات، ص ٥٥.

تساق بخزائم الاقتسار كما يساق الفحل المخشوش ثمّ نهضت الآن تطلب الخلافة؟! يقول ابن أبي الحديد إنّ معاوية ولكي يجد ذريعة ضدّ أمير المؤمنين يثير بها أهل الشام عليه، كتب إليه كتبًا ورسائل يؤنّبه فيها على مخالفته لأبي بكر وعمر ليكتب أمير المؤمنين شيئًا يريه معاوية لأهل الشام ليعرفوا نظره في حقّ أبي بكر وعمر. وقد كتب في إحدى تلك الرسائل ما ذكرنا. وينبغي التدقيق كثيرًا في ذلك، تساق بخزائم الاقتسار كما يساق الفحل المخشوش. فقد ساقوك كما يساق الجمل الذي ثقب أنفه ووضع فيه حديدة وجرّ بالحبل لكي يدع الحركة ويخضع أمام قائده وسائقه، هكذا ساقوك وجرّوك إلى المسجد لتبايع أبا بكر. فماذا كانوا يفعلون إذن؟ كانوا قد وضعوا في عنق أمير المؤمنين حبلاً وجرّوه إلى المسجد.

فكتب أمير المؤمنين عليه السلام في جواب معاوية:

وقلت إنّي أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتّى أبايع ولعمر اللَه لقد أردت أن تذمّ فمدحت وأن تفضح فافتضحت.

لقد كتبت إليّ أنّي أقاد هكذا كالجمل من أجل بيعة أبي بكر، وأنت تحسب أنّك بذلك تذمّني ولكنّك مدحتني وأردت أن تفضحني ولكنّك فضحت نفسك. فما معنى ذلك؟!

يعني أنّي كنت ثابتًا وراسخًا أمام اللَه وأمام كلام اللَه وأمام الحقّ وأمام وصيّة النبيّ حتّى أنّي لم أكن مستعدًّا أن أتنازل عن ذلك وأسلّم مقابل أيّ شيء حتّى إسقاط ولدي وقتل زوجتي، حتّى ألقيتم أنتم على عنقي حبلاً وأجبرتموني على ذلك.

"و لَعَمرُ اللَهِ لقد أرَدتَ أن تَذُمَّ فمَدَحتَ، و أن تَفضَحَ فافتَضَحتَ؛ و ما علَى المُسلمِ مِن غَضاضَةٍ فى أن يكون مظلومًا، ما لم يكن شاكًّا فى دينِه و لا مُرتابًا بيَقينِه"[1]

لا عيب ولا مشكلة في أن يكون المسلم مظلومًا وهو غير شاكّ في دينه ولم يمزج يقينه بريب.

ومع ذلك فإنّ أمير المؤمنين هذا نفسه عندما أرادوا أن ينبشوا القبر حمل ذا الفقار وقال لأبي بكر وعمر: واللَه

---

١ نهج البلاغة (صبحي الصالح)، ص ٣٨٧ و ٣٨٨.

إذا غيّرتم حجرًا من أحجار هذه القبور عن كانه لأسقيّن الأرض من دمائكم.

فأمير المؤمنين ماذا يفعل هنا؟ إنّه خاضع وخاشع أمام حكم اللَه! هذه هي مظلوميّة أمير المؤمنين.

تلك هي غلبة الأحاسيس على العقل، فالناس لم يكونوا ينظرون إلى أمير المؤمنين في ذلك الزمان حينما كان شابًّا، لم يكونوا يبالون بشابّ يجلس مع الناس ويقوم معهم ويتحدّث معهم. بل كانوا ينظرون إلى تلك العمائم واللحى البيضاء، إلى أنّ هذا والد زوجة النبيّ، إلى أنّ مكانة هذا الآن هي كذا وكذا، فالناس هكذا كانوا! وقد استشهدت فاطمة الزهراء سلام اللَه عليها لأجل هذا الأمر ولأجل إحقاق الولاية.

تحليل بعض مواقف السيّدة الزهراء عليها السلام

إنّ تاريخ السيّدة الزهراء سلام اللَه عليها لعجيب، فعندما ننظر إلى تاريخها نجد أنّه لا فرق أصلاً بينها وبين النبيّ بأيّ وجه من الوجوه ولا امتياز، فحقًّا وواقعًا ما كان النبيّ يريده لنفسه كان يريده لها.

ذات يوم جاءت السيّدة الزهراء سلام الله عليها إلى النبيّ وطلبت منه خاتمًا فقال لها النبيّ:

سأعلّمك خيرًا من ذلك، إذا قمت إلى صلاة الليل فاطلبي منه واسأليه فإنّه يعطيك ما تشائين.

فتقوم السيّدة الزهراء عند صلاة الليل، وتطلب أثناءها أن يا الله أريد خاتمًا. فيأتيها الخطاب إنّه تحت مصلّاك.

ترفع مصلاّها فتجد خاتمًا من الياقوت لا يمكن أن تتصوّر له قيمة فتفرح به، وتجعله في يدها وتتابع الصلاة وبعدها تنام، فترى في منامها أنّها في الجنّة وأنّ هاك قصورًا ثلاثة عظيمة فتسأل: لمن هذه القصور؟ فيقال لها: إنّها لفاطمة بنت رسول الله. فتدخل أحدها وتتجوّل فيه فترى سريرًا له ثلاثة قوائم، فتسأل لماذا لهذا السرير ثلاثة قوائم؟ فيقال لها: إنّ صاحب هذا السرير طلب من الله خاتمًا فبدّل الله له أحد قوائم هذا السرير إلى خاتم، لذلك فإنّ لهذا السرير ثلاثة قوائم. فأفاقت من نومها وفي اليوم التالي

جاءت إلى النبيّ وقصّت عليه ما رأت فقال: "معاشر آل عبد المطّلب ليس لكم الدنيا إنّما لكم الآخرة". لقد طلبت خاتمًا! إنّ الدنيا ليست لك، الآخرة لك، الدنيا عابرة فاذهبي واجعلي ذلك الخاتم تحت مصلاّكِ، وفي الليل عندما قامت السيّدة فاطمة لصلاة الليل وضعت الخاتم تحت مصلاّها وبعد أن نامت رأت ما رأت في الليلة الماضية ولمّا دخلت القصر رأت أنّ ذلك السرير له أربع قوائم.[1]

لا تريد السيّدة الزهراء فدكًا، ولم يكن كلامها مع أبي بكر وأمثاله لأجل فدك، بل لأجل حقّ الولاية. فواقعًا لو أردنا أن نبحث حول الزهراء ونحقّق لرأينا أنّ الزهراء تابعت عمل أبيها صلوات اللّه عليه وآله بعد وفاته والذي هو إحقاق الولاية، ولم يكن الأمر لأجل فدك وأمثالها.

تأتي إلى المهاجرين والأنصار أن ألم تكونوا في خُم؟! ألم تكونوا في الغدير؟! فلماذا تراجعتم؟! فيعتذرون أن يا ابنة رسول اللّه لقد تأخّرتِ بكلامك معنا، فقد باعينا

---

١ مناقب آل أبي طالب عليهم السّلام، ج ٣، ص ٣٣٩.

وعاهدنا ولا يمكن أن نتراجع.[1] هؤلاء الناس هم الذين عبّر عنهم النبيّ نفسه بأنّهم عبّاد العجل.

أبتاهُ هذا السّامِرِيُّ وعِجلُهُ * تُبِعا ومالَ الناسُ عَن هارونِ**

أي إنّ هؤلاء الناس اتّبعوا العجل، فمن هو السامريّ؟! إنّه عمر وقد قدّم أبا بكر.

هل كان أمير المؤمنين يريد الخلافة لنفسه؟ (قصّة الحدائق السبع دليلاً)

رواية الحدائق السبع عن النبيّ الأكرم رواية مشهورة، فقد كان أمير المؤمنين يومًا يمشي مع النبيّ في بساتين المدينة فوصلوا إلى بستان فقال أمير المؤمنين: "مَا أَحْسَنَهَا مِنْ حَدِيقَةٍ! فَقَالَ:

يَا عَلِيُّ لَكَ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْهَا.

إِلَى أَنْ مَرَّ بِسَبْعِ حَدَائِقَ كُلَّ ذَلِكَ يَقُولُ عَلِيٌّ عليه السلام: مَا أَحْسَنَهَا مِنْ حَدِيقَةٍ! وَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم: لَكَ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْهَا.

---

١ راجع الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢٨ - ٣٠.

ثُمَّ بَكَى رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم بُكَاءً شَدِيدًا، فَبَكَى عَلِيٌّ عليه السلام لِبُكَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا يُبْكِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: يَا أَخِي [يَا] أَبَا الْحَسَنِ ضَغَائِنُ فِي صُدُورِ قَوْمٍ يُبْدُونَهَا لَكَ بَعْدِي.

قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي سَلَامَةٍ مِنْ دِينِي؟

قَالَ: فِي سَلَامَةٍ مِنْ دِينِكَ.

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا سَلِمَ دِينِي فَلَا يَسُوؤنِي ذَلِكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلم: لِذَلِكَ جَعَلَكَ اللَّهُ لِمُحَمَّدٍ تَالِيًا، وَ إِلَى رِضْوَانِهِ وَغُفْرَانِهِ دَاعِياً، وَعَنْ أَوْلَادِ الرُّشْدِ وَالْغَيِّ بِحُبِّهِمْ لَكَ وَ بُغْضِهِمْ [عَلَيْكَ مُمَيِّزاً] مُنْبِئًا، وَ لِلِوَاء مُحَمَّدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَامِلًا، وَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَ الرُّسُلِ وَ الصَّابِرِينَ تَحْتَ لِوَائِي- إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ قَائِدًا.

يَا عَلِيُّ إِنَّ أَصْحَابَ مُوسَى اتَّخَذُوا بَعْدَهُ عِجْلًا وَ خَالَفُوا خَلِيفَتَهُ، وَ سَيَتَّخِذُ أُمَّتِي بَعْدِي عِجْلًا، ثُمَّ عِجْلًا، ثُمَّ عِجْلًا،

وَ يُخَالِفُونَكَ، وَ أَنْتَ خَلِيفَتِي عَلَى هَؤُلَاءِ، يُضَاهِئُونَ أُولَئِكَ فِي اتِّخَاذِهِمُ الْعِجْلَ.

أَلَا فَمَنْ وَافَقَكَ وَ أَطَاعَكَ فَهُوَ مَعَنَا فِي الرَّفِيعِ الْأَعْلَى، وَ مَنِ اتَّخَذَ الْعِجْلَ بَعْدِي وَ خَالَفَكَ وَ لَمْ يَتُبْ، فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ زَمَانَ مُوسَى، وَ لَمْ يَتُوبُوا [فَهُمْ] فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ مُخَلَّدِينَ".[1]

لقد نهضت السيّدة فاطمة الزهراء لإحقاق حقّ الولاية، جاءت لتفهم الناس أنّه لو أنّ مجتمعًا كلّه سار في طريق ما فأنا ابنة النبيّ لا أترك كلام النبيّ، أنا لا أتخلّى عن الحقّ! لقد بايع الناس كلّهم أبا بكر.

إذا ما أردنا أن نتحدّث عن تلك السيّدة ونحقّق في تاريخ عمرها فإنّا نصل إلى هذه النقطة وهي أنّ السيّدة الزهراء وجود لم يكن يخطر في ضميره باطل وفكر منحرف أبدًا، وكان كلّ فعل من أفعالها على أساس الحقّ.

---

١ التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السّلام، ص ٤٠٨ و ٤٠٩

عندما جاء رجل [ضرير] إلى منزلها سترت نفسها منه وحجبته فسألها النبيّ: "لِمَ حَجَبتِهِ وهو لا يَراكِ؟

فَقالَت: يا رسول اللَه إن لَم يرانى [يَرَنى] فَأنا أراهُ و هو يَشَمُّ الرّيحَ!

فَقالَ النَّبىُّ صلّى اللَه عليه و آله و سلّم: أشهَدُ أنَّكِ بَضعَةٌ مِنّى.»[1]

فالسيّدة الزهراء تريد بهذا الكلام أن تقول يا أيّها المرأة المسلمة يجب أن لا يحسّ بوجودك رجل أجنبيّ عنك. والسيّدة الزهراء سلام اللَه عليها تظهر لنا هذا المنهج الصحيح في جميع أعمالها، ولم يكن الأمر مقتصرًا على تلك الخطبة التي ألقتها في مجلس أبي بكر[2]، بل كانت كلّ حياتها مبيّنة للحقّ والحقيقة، حتّى قال النبيّ عنها ما قال.

---

١ الجعفريات، ص ٩٥.

٢ السقيفة و فدك، ص ٩٨ – ١٠١؛ بلاغات النساء، ص ٢٦ – ٣١.

خطرت في بالي ذات يوم مسألة، وقد فكّرت فيها كثيرًا، وهي أنّه عندما كان النبيّ الأكرم في آخر لحظات عمره وكانت السيّدة الزهراء حاضرة عنده وكانت حزينة جدًّا وكانت تبكي فأخبرها النبيّ أنّها أوّل من يلحق به من أهل بيته. فسرّت وتهلّل وجهها فسألوها لماذا سررتِ وفرحتِ وظهرت عليك علامات الانبساط؟ قالت: "إنه خبرني أنني أول أهل بيته لحوقًا به"[1]

لقد كنت أتساءل في نفسي: ألم يكن للسيّدة الزهراء أبناء؟! ألم يكن لها زوج؟! لماذا تتأثر الابنة إلى هذه الدرجة ويثقل عليها فراق والدها حتّى تفرح إذا ما بشّرت بأنّها أوّل من يحلق به من أهل بيته؟! ففي النهاية المرأة التي لها أبناء لا تكون مستعدّة أبدًا أن تترك أطفالها بغير راع وتتمنّى أن تموت بسبب فقدان والدها. إن كانت هناك امرأة تحبّ زوجها خصوصًا إذا كان كأمير المؤمنين عليه

---

١ الإرشاد، ج ١، ص ١٨٦ و ١٨٧: إنه خبّرني أنني أول أهل بيته لحوقًا به، وأنه لن تطول المدّة بي بعده حتى أدركه، فسرّيَ ذلك عني.

السلام وخصوصًا إذا كانت المرأة كالسيّدة الزهراء فما معنى أن تفرح لذلك؟ كانت هذه المسألة مشكلة بالنسبة إليّ وأنّه ما هو الوجه في سرورها لذلك؟! ألم تكن أمًّا لأبنائها؟ وأيّ أمّ تكون مستعدّة لأن تترك أبناءها؟!

لقد توفّي والدها فليكن أفهل يفرح الإنسان للحاق السريع بوالده؟!

ثمّ خطر في بالي هذا الجواب ولا أدري هو خاطئ أم صحيح، فالتبرير الوحيد والجواب الوحيد الذي استطعت أن أجده لسؤالي هو أنّ السيّدة الزهراء سرّ النبيّ ولا يمكن تصوّر انفصال بينها وبين النبيّ. فالنبيّ يرحل عن الدنيا فكأنّ السيّدة الزهراء ترحل عن الدنيا. السيّدة الزهراء جزء من وجود النبيّ وذلك الموجود اللطيف وتلك الحقيقة التي سيطر النبيّ الأكرم على وجودها بالكامل، لقد كانت بحيث لا يمكن أن تتصوّر فقدان أبيها، فمع غضّ النظر عن المصائب والبلايا التي وقعت، فلو أنّها لم تقع لربّما ماتت من شدّة الحزن على والدها من

دون أن يكون هناك تلك البلايا. وكما لدينا في الروايات فإنّ الزهراء سرّ النبيّ.[1]

ما معنى كون الزهراء سرّ النبيّ؟

أفتدرون ما معنى السرّ؟

يعني أنّه عندما كان النبيّ يريد أن يغادر المدينة كان آخر من يلقاه السيّدة الزهراء. وعندما يعود من سفر أوّل من يلقاه السيّدة الزهراء.[2] هذه أمور لا ندركها نحن، ولا نلتفت إلى حقيقتها. إذا أراد الإنسان أن يذهب إلى مكان أن يخرج من المدينة ويودّع أهل بيته فإنّ آخر من يراه من؟ من هو الذي يراه في النهاية ثمّ يخرج؟! إنّه أحبّ الناس إليه أليس كذلك؟! وعندما يرجع من مكان فإنّ أشدّ الناس شوقًا للقائهم من أقاربه وأهل بيته والذين هم في تلك المدينة من هو؟ هو أحبّ الناس إليه، فهو يريد أن يراه أوّلاً. هكذا كانت قصّة الزهراء مع النبيّ. ثمّ بعد ذلك ورغم كلّ هذه الوصايا التي أوصى النبيّ بها الناس حولها

---

١ راجع: مناقب آل أبي طالب عليهم السّلام، ج ٣، ص ٣٣١ - ٣٣٥.

٢ المصدر السابق، ص ٣٣٣.

تصل إلى مرحلة بحيث تأتي قرب قبر النبيّ وتطلب من اللَه الموت.

فلنقرأ هذا الحديث تيمّنًا وتبرّكًا ونختم به المجلس.

لماذا سمّيت السيّدة الزهراء سلام الله عليها بفاطمة؟

سئل الإمام الصادق عليه السلام لماذا سمّيت فاطمة الزهراء فاطمة؟

فقال: "لأنّها فطمت ذرّيتها وشيعتها من النار"

نسأل اللَه تعالى في هذا اليوم الشريف، يوم ولادة السيّدة فاطمة الزهراء سرّ النبيّ الأكرم التي هي شفيعة يوم الجزاء أن لا يفرّق بيننا وبينها في الدنيا ولا في الآخرة.

باسمك اللهم ندعوك، ونقسم عليك ونرجوك بمحمّد وأهل بيته الأطهار يا اللَه

اعف عنّا وارحمنا

اعف عن جرائمنا

لا تخرجنا من الدنيا حتّى ترضى عنّا

لا تفرّق بيننا وبين ولاية محمّد وآل محمّد

اللهمّ ارفع الهموم والعموم عن المسلمين وعن شيعة أمير المؤمنين.

وأعزز الإسلام والمسلمين وانصرهم.

واخذل الكفّار والمخالفين.

اللهم وأدم علينا ظلال لطفك ورحتمك.

عجّل في فرج إمام الزمان عليه السلام واجعلنا من أنصاره والمنتظرين الحقيقيّين له.

اللهمّ شاف مرضى المسلمين وارحم أمواتهم.

اللهمّ أطلق أسرانا في أسرع وقت وردّهم إلى أوطانهم بالنبيّ وآله.

صلّوا على محمّد وآل محمّد.

اللَهمّ صلّ علىٰ محمّد وآل محمّد